Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النماذج الدالة منها منطلقا لرصد أوصاف الكلام العربي وأقسامه لنرى ما تضيفه إلى ما تكون لدينا من خلال المؤلفات النقدية أو البلاغية.

2.3.3. يبين الجاحظ (ت 255 هـ) في مقدمة كتابه «البخلاء» أن قارئا، بعد اطلاعه على كتاب اللصوص، طلب منه تصنيف كتاب في البخل والبخلاء، فقال موضحا ذلك: «. . . وقلت: اذكر لي **نوادر** البخلاء، **واحتجاج** الأشحاء، وما يجوز من ذلك في باب **الهزل**، وما يجوز منه في باب **الجد**. . .»[19]، فيجيبه الجاحظ مبرزا ما قام به في كتابه: «وذكرت **ملح** الحرامي، **واحتجاج** الكندي، **ورسالة** سهل بن هارون، **وكلام** بن غزوان **وخطبة** الحارثي، وكل ما حضرني من **أعاجيبهم وأعاجيب** غيرهم. . .» (ص 1).

نلاحظ أن الجاحظ هنا يعدد أصناف كلام البخلاء، ويميز بينه باستعمال مصطلحات لها دلالات خاصة نحبّ الوقوف عندها لما تفتحه لنا من آفاق في معالجة أوصاف الكلام وأقسامه، فالملح والنوادر والأعاجيب، والجد والهزل، والاحتجاج، والرسالة والخطبة كلها أقسام يختلف بعضها عن بعض، وإن كانت تدور مجتمعة حول تيمة واحدة هي «البخل». ونجد الشيء نفسه، عندما يتعرض الجاحظ لذكر طبيعة كتابه ووصف وظيفته من خلال قوله: «فأما ما سألت من **احتجاج** الأشحاء، **ونوادر أحاديث** البخلاء، فسأوجدك ذلك في **قصصهم**، ، متفرقا، وفي **احتجاجاتهم** مجملا. فهو أجمع لهذا الباب من وصف ما عندي دون ما انتهى إلي من **أخبارهم** على وجهها» (ص 5)، إلى أن يقول: «ولك في هذا الكتاب ثلاثة أشياء: تبين **حجة طريفة**، أو تعرف حيلة **لطيفة**، أو استفادة **نادرة عجيبة**. وأنت في **ضحك** منه إذا شئت، وفي **لهو**. إذا مللت **الجد**» (ص 5). ويقف بعد ذلك موضحا **علاقة الجد بالهزل، والضحك بالبكاء**. وفي هذا الكتاب نجد إشارات تؤكد ما سجلناه هنا بماله صلة بأقسام الكلام وصفاته، مثل قوله: «قد ذكرنا **رسالة** سهل بن هارون، **وقصص** الكندي **وأحاديث** الحارثي **واحتجاجهم وطرائف** بخلهم، **وبدائع** حيلهم. . .» (ص 93).

إن الجاحظ هنا كما نلاحظ يعدد لنا أوصاف الكلام وأقسامه، ولكنه لا يؤطرها نظريا كما رأينا مع البلاغيين، لأن التأطير، وتفسير أسباب التصنيف لا تهمه بالدرجة الأولى. وعلينا نحن من خلال التأمل أن نرتب هذه الأقسام